

وجهة نظر فرنسية في تقييم الوضع في
الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية

د. يوسف مناصرية
جامعة باتنة

مقدمة

ما زالت الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر المعاصر تحتاز إلى مزيد من البحث والتنقيب، والعمل المضي في دور الأرشيف المختلفة وخاصة منها الفرنسية في فانسان وكي دورسي وآكس، كونها تضم أهم وثائق تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية - وهي أكثر المحفوظات تنظيما وترتبا وتبويبا.

ومن أهم الموضوعات الهامة التي ما زالت تستقطب اهتمام الباحثين، وما يتعلق بمجازر الثامن من ماي 1945، تلك المجزرة الرهيبة التي اختلفت حولها الآراء والتساؤلات عمن كان وراءها وقد تبادل الطرفان الجزائري والفرنسي الاتهامات واختلفوا في التسميات، فاعتبرها الجزائريون ثورة فاشلة أو أحداثا غير مدروسة، واتفقوا على تسميتها بالمجازر كونها حصدت الكثير من الأرواح الجزائرية بدون مبرر. واعتبرها الفرنسيون عصيانا وجب قمعه إعادة للنظام وحفاظا على هيبة فرنسا الداخلية والخارجية.

وكنا قد نشرنا تقريرا حول هذه المجازر يؤكد من كثير من جوانبه المسؤولية الفرنسية، وهنا نحن ننشر تقريرا آخر - أشرنا إليه فيما سبق - لنؤكد على المسؤولية الفرنسية فيما حدث من خلال مصادر والتقارير التي وضعتها لجانها السياسية والعسكرية.



يعتمد هذا البحث المتواضع أساسا على تقرير البعثة الفرنسية إلى الجزائر وتونس بتاريخ 26 فيفري إلى 10 مارس 1941⁽¹⁾. الموضوع ليس ترجمة حرفية وإنما هو شرح للمحتوى دون المساس بجوهر المادة العلمية التي قارنا بعض جوانبها مع محتويات بعض مصادر ومراجع فترة الحرب العالمية الثانية بهدف التحقيق من صحتها وتوجيهها نحو الهدف العلمي المنشود.

ولعل القارئ الكريم سيلتمس معي في ثنايا البحث الخلفية التاريخية لمجازر 8 ماي 1945 الأليمة، وقد تتخلص في النقطتين التاليتين:

1 - السخط الشعبي المستمر على بشاعة الإستعمار، واعتقاد فرنسا في خطر هذا السخط الذي تؤكد دائما على ضرورة إزالته.

2 - شعور فرنسا بالضعف من جراء فقدان هيبتها الدولية أمام الدول الأوروبية، وزوال شبح عظمتها داخل مستعمراتها مما أوهمها بأن ارتكاب مجزرة مثل هذه سيعيد لها هيبتها وقوتها في نفوس الجزائريين. ولكن مجازر 8 ماي كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس فكانت القطيعة وكانت ثورة أول نوفمبر المظفرة

كانت القيادة الإستعمارية تتلقى تقارير عن وضع الجزائر العام من مختلف مصالحها المتمركزة في الجزائر وتونس. وكانت تلك التقارير مع مطلع سنة 1941 تتسم بصفتين أساسيتين: فالتقارير الواردة من المكتب الثاني لهيئة الأركان الحربية الناحية التاسعة عشر (الجزائر)، والإقامة العامة الفرنسية في تونس، كانت كلها متفائلة من الوضع في الجزائر، بينما تقارير مركز الإعلام والدراسات التابع للحكومة العامة في الجزائر وقسنطينة، والمكتب الثاني لهيئة الأركان بتونس، ومصالح الشؤون العسكري والإسلامية، وتقارير مختلف المخبرين، كانت كلها متشائمة.

وقد حدثت ثورة في صفوف الفرق العسكرية قامت بها فرقة القناصة الجزائريين المتمركزة في ثكنة الحراش (الجزائر)، وتصدى لها الجيش الاستعماري بكل وحشية ⁽²⁾ وأثارت تلك الأحداث المتنامية القيادة العسكرية الاستعمارية وتحوفت من تأثيراتها وانعكاساتها على الأوساط الشعبية، هذه الأوساط التي كانت تهيجها مختلف الأحزاب الجزائرية، والتي كانت أراؤها منتشرة مما أدى بالتقارير الإستعمارية أن تصفها بأنها (حركات نامية في بلدان شمال افريقيا، انتقل تأثيرها إلى عقول الفرق العسكرية الأهلية)⁽³⁾

وهذه الأحداث مجتمعة ومتفرقة أدت بالقيادة العسكرية الإستعمارية إلى تكوين لجنة تحقيق في الوضع العام في الجزائر وتونس، وحددت مهام هذه البعثة فيما يلي:

1 - الإتصال بهيئة أركان الناحية التاسعة عشر (الجزائر) والقيادة العليا للفرق العسكرية بتونس من أجل شرح مهام مصالح الشؤون الإسلامية التابعة لهيئة الأركان الحربية، وتحديد علاقتها المستقبلية مع مختلف مكاتب هيئات الأركان.

2 - جمع الوثائق الضرورية لتنشيط وتشغيل تلك المصالح المذكورة مستقبلا.

3 - القيام بدراسة ميدانية للعديد من المسائل التي تعتبر من صلاحيات مكاتب الشؤون الإسلامية ومنها:

- مراقبة الوضع الروحي والعسكري للأهالي.

- تنظيم هيئة الشؤون العسكرية والإسلامية، وتقديم

نظام أساسي لمصالح ضباط هذه الهيئة.

- ضبط قانون وظروف العمل الحالية لضباط المصالح

الخاصة بالجزائر وتونس.

4 - التحقيق حول الحالة الراهنة في الجزائر وتونس بكيفية تجعل الإنطلاق إما من تفاؤل بعض المعلومات والتقارير الواردة من بعض المصالح، أو من تشاؤم تقارير البعض الآخر وكذلك التحقيق

بصفة خاصة في التأثيرات التي تركتها أحداث الحراش، وتلك التي تحدثها مختلف الحركات السياسية بشمال إفريقيا على عقول وذهنيات السكان⁽⁴⁾

وقد قامت هذه البعثة بانجاز عملها في الجزائر (من 26 فيفري إلى 4 مارس ثم من 6 إلى 10 مارس 1941)، وفي تونس (من 4 إلى 6 مارس 1941). وقام أعضاء البعثة بإجراء عدة اتصالات مع السلطات العسكرية والمدنية، ومع مختلف الشخصيات المطلعة عن كذب على الوضع في البلدين، ثم أن هذه البعثة بعد جمعها للمعلومات الضرورية قامت بدراسة المسائل التي تدخل ضمن أهدافها أهمها (الوضع في الجزائر) وقدمت تقريراً بذلك إلى السلطات العسكرية الإستعمارية بتاريخ 14 مارس 1941. وهو ما سنركز عليه في هذا العمل المتواضع.

لقد إعتبرت تقارير البعثة الوضع في الجزائر سيئاً للغاية وينذر بمخاطر حقيقية من المحتمل أن تشتد بغته، وهذه المخاطر تكمن في مسائل معينة:

أولاً: سخط الجزائريين على الإستعمار الفرنسي:

تعترف التقارير بأن هذا السخط بات مؤكداً وقد بلغ درجة عالية في أوساط مختلف الطبقات الشعبية، وأعادت ذلك إلى سببين رئيسيين هما:

1 - الجانب السياسي:

قناعة الجزائريين بعدم جدوى الإستعمار الفرنسي الذي لم يقدم لهم شيئاً إيجابياً، و على الرغم من (الولاء) الذي أظهره الجزائريون خلال الحرب العالمية الثانية، فإن فرنسا لم تول أي إهتمام لمصيرهم بل عبرت على أنها ليست مؤهلة لتطوير حياتهم المادية والمعنوية بصفة ملموسة.

وهذه القناعة لها ما يبررها حتى في نظر البعثة ذلك أن جميع الوعود الفرنسية بتلبية المطالب الجزائرية قبل الحرب كانت كلها حبرا على ورق، ولم تحدث أية إصلاحات إيجابية، واستخلصت البعثة أن طابع الرفض أصبح هو المسيطر على الشعور العام للشعب الجزائري.

وفي مقابل التعنت والإهمال الفرنسي لرغبات الشعب، فإن أحزاب الحركة الوطنية تطورت وتنامت في صفوفه بين سنوات 1934 - 1939، وتأثر الشعب بمطالب الأحزاب المعتدلة مثل الحزب الشيوعي (الحقوق السياسية، والتطور الإقتصادي والإجتماعي)، ومطالب إتحاد النواب المسلمين (المساواة الكاملة مع الفرنسيين)، ومطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحزب الشعب الجزائري، (المؤدية إلى الإنعتاق الكامل)، ولاحظت البعثة أن عدم تلبية مثل هذه المطالب أدى بأحزاب الحركة الوطنية إلى العمل على

إقناع الشعب بفكرة حقه في تعويضات جوهريّة معنوية ومادية ورسختها في أذهان الجميع أثناء فترة الحرب الثانية، ولذلك اقترحت البعثة أن تطبق إصلاحات مماثلة لإصلاحات فيفيري 1919 كمكافأة (للولاء والإخلاص الذي أظهره الأهالي) والاعتراف بدماء الفرق الجزائرية التي سالت في ميادين الحرب الفرنسية إلى جانب الجنود الفرنسيين وإعطائها أهمية مماثلة لتلك التي وقعت بعد الحرب العالمية الأولى؟!

ولاحظت التقارير أن تطوع كل من ابن جلول وفرحات عباس زعيما النخبة الاندماجية الجزائرية في صفوف الجيش الفرنسي، وانضمام القائد الشيوعي بن علي بوقرط إلى الإدارة الفرنسية، خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 1939 بعدما كانوا في صفوف (المعارضة العنيفة) - بحسب رأي التقرير - يدخل في إطار (لي اليد أو الذراع مسبقا) ويصبحوا محقين في نيل التعويضات اللازمة عند إنتهاء الحرب العالمية الثانية.

ومن هنا تؤكد التقارير بأن ما سيناله الجزائريون من تعويضات يعتبر نتاج عمل وكفاح وليس منحة من فرنسا، وأكد الشعور الساخط على موقف الحاكم العام، فتمثيل الجزائريين في اللجنة التي خلفت النيابة المالية في ديسمبر 1940، وتحديد عدد الممثلين الجزائريين في اللجان الولائية والبلدية، وعدم تعيين ممثلين

لهم في المجلس الوطني الذي أنشئ بباريس (Metropole) في شهر جانفي 1941، أعتبرت جميعها في نظر الجزائريين والمعمرين معا مؤامرة يحرك خيوطها حاكم الجزائر العام.

وازداد السخط الشعبي على مثل هذه الإجراءات وذلك على الرغم من موقف الجنرال ممثل الحكومة في إفريقيا الفرنسية - المناقض لموقف الحاكم العام - وقد أذيع موقفه يوم 8 جانفي 1941 وكان له أثر طيب في نفوس الجزائريين، وملخصه: "إن موقفكم قد برهن لفرنسا بأنكم فهمتهم عبقريتها الإنسانية، وقد كافأتموها بإخلاص كبير وبمساهمة واسعة ومشاركة في تضحياتها وإنها لن تنسى لكم ذلك، فاطمئنوا".

واعتبر هذا التصريح وعداً لتلبية مطالب الجزائريين وتعويضهم لما خسروه، وقد إطمأن بعض الجزائريين لذلك وشكك فيه البعض الآخر من الذين لم يثقوا في نوايا الإستعمار الفرنسي تجاه الجزائريين. وقد دعم رأيهم عدم إتباع هذا التصريح بأعمال ملموسة وإصلاحات حقيقية.

وبينما إعتبر البعض تعيين بعض الشخصيات الجزائرية في المجلس الوطني من طرف المارشال بيتان في مارس 1941 بإيعاز من البعثة المذكورة، مؤشر خير يبعث على التفاؤل والثقة في العدالة

الفرنسية، اعتبرت الأغلبية الشعبية ذلك من قبل الإصلاحات الجوفاء ومن باب توزيع الفائدة على من يقدم الولاء⁽⁵⁾

2 - الجانب الاقتصادي والاجتماعي:

تمثل السبب الثاني للسخط الشعبي على الإستعمار الفرنسي في إنهاء الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأعدت المصادر ذلك إلى الإنخفاض الواضح في عمليات تخزين الحبوب⁽⁶⁾ التي تعتبر هي لب الغذاء الشعبي، وأدت عمليات تقنين الإستهلاك وتنظيم التوزيع إلى إرتفاع الأسعار وندرة السلع في الأسواق من جراء (سيادة السوق السوداء) وأدى ذلك إلى وقوع عدة أحداث في أماكن مختلفة وخربت عدة محلات وتعلت أصوات الاحتجاجات والتهديدات الجماعية، وعم السخط الشعبي مما أدى بسلطات الحكومة العامة للإعتراف بخطورة الموقف، وأنه سيعرف تصعيدا إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة في الوقت المناسب

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذه الإجراءات قد تكون توفير المواد الغذائية ورفع البؤس الإقتصادي والإجتماعي على الشعب، وإلا فإن استعمال (العنف) هو الحل الأنجع بحكم أن الأزمة كانت متعددة الوجوه ولا تتعلق فقط بالجانب الإقتصادي⁽⁷⁾، فهي أزمة صراع مريع ومستमित في الدفاع عن الذات والكيان والوجود للإنسان الجزائري بقيمه الحضارية والطموح إلى بناء المستقبل.

ثانيا: انتشار الدعاية الأوربية في الأوساط الجزائرية:

1 - الدعاية الألمانية:

تنسب التقارير إلى الدعاية الألمانية تغذية الشعب والسخط الشعبي ضد فرنسا، وذلك بالوسائل المختلفة كالإذاعة، والصحافة وإرسال الأعوان إلى نفس المكان، والعمل على التأثير على السجناء الجزائريين.

وكانت الإذاعة الألمانية بباريس ترسل حصصها باللغة العربية في كل من Zeesen و Stuttgart، وكان لها أعوان شمال إفريقيا يقرأون الحصص ويديرون المحادثات، وعلى رأسهم عبد الرحمن ياسين، التونسي الأصل الذي كانت تربطه علاقة بالألمان وكان يتكلم لغتهم⁽⁸⁾

وكانت الصحافة المغربية بتطوان تساعد الصحافة الألمانية في عرض الحملات العنيفة ضد فرنسا والتشهير بأعمالها الإستعمارية وإحتقارها. أما بالنسبة للأعوان فمنهم الألمان ومنهم الجزائريين وغيرهم. وكانوا يدخلون في علاقات مع المصالح الألمانية ولاحظت تقارير البعثة مجيئ العديد منهم إلى الجزائر تحت غطاء التكفل بمسائل التموين. وتذكر أنه في نهاية فبراير 1941 وصل إلى الجزائر العاصمة عون ألماني يدعى Schonburg-Weiss

بدعوى أنه مكلف بدراسة مسائل السياحة في شمال افريقيا. وكانت له اتصالات مع شخصيات جزائرية، وتشير بعض المراجع إلى أن السيد بلقاسم راجف عضو حزب الشعب الجزائري كان من بين المذيعين في الإذاعة الألمانية ببافيا إلى جانب عبد الرحمن ياسين، وكان يلقي تدخلاته باللهجة القبائلية⁽⁹⁾.

كما أن التقارير لا حظت تأثير الدعاية الألمانية على السجناء الشمال الإفريقيين في الجزائر، وفي مركز تجمع الفارين الشمال إفريقيين المسمى. Clermont-Ferrand وكانت أهم الموضوعات الأساسية التي اهتمت بها الدعاية الألمانية تتمثل في إبراز الحقائق التالية:

- 1 - عدم إكتراث فرنسا بمسائل المسلمين في شمال افريقيا، ولم تبحث على تطوير مصيرهم وأهملتهم نهائيا، وارتكز إهتمامها على تقديم المزايا إلى الكولون، وعلى الخصوص في الجزائر.
- 2 - إعتبار فرنسا دولة ضعيفة وليست في مصاف الدول العظمى.
- 3 - إبراز تفوق ألمانيا على فرنسا في جميع المجالات.
- 4 - الإهتمام الكبير الذي توليه الأمة الألمانية إلى المسائل الإسلامية وأمر المسلمين والتأكيد على تصريحاتها بتقديم المساعدة لطموحات الشعوب الإسلامية ورغبتها في الإستقلال.

5 - تخصيص الجزائر بالاهتمام، وإذا ما وقع إهتمام الجزائريين بالعمل في اتجاه الإستقلال، فإن ألمانيا تعترف بدولة مستقلة، هي مستعدة لحمايتها ومساعدتها.

وقد بلغت الدعاية الألمانية ذروتها - حسب البعثة - في التأثير على ذهنية وعقلية الجزائريين⁽¹⁰⁾، وصار هتلر بالنسبة للكثير (سيدا للعالم)، ومنحه الخيال الشعبي كل الفضائل وصفات الشجاعة⁽¹¹⁾

ولاحظت التقارير أن التأثير الألماني وتركيز إهتمامها بشمال إفريقيا والعالم الإسلامي وإظهار تفوقها مازال يتقدم في كسب الأنصار في هذه البلدان على حساب القوة الفرنسية وهيبته.

2 -تطور التأثير الإنجليزي على الجزائريين:

وصفت التقارير الدعاية الإنجليزية بأنها أقل ضجة ولكنها أكثر (مكرا وخداعا) من الدعاية الألمانية، وكان تأثيرها مباشرا على الجزائريين خاصة منهم الذين يعانون من مشاكل التموين وركود الأعمال، وتستعمل كل الوسائل لصالحها بما في ذلك الإذاعة والأعوان الذين كانوا يستفيدون من العناية الخاصة تقديرا لعملهم المتميز. وكان جل رجال الدعاية الانجليزية من اليهود خاصة، فإن هؤلاء اليهود لم يكونوا محل عدوان ولا إثارة منظمة من طرف مسلمي شمال إفريقيا وهم وكانوا يعيشون

حينذاك مع المسلمين في حالة جد حسنة يشملها الإتحاد الوثيق، وخاصة أثر الإجراءات المضادة لليهود التي قام بها المارشال بيتان، وقد رصت هذه الإجراءات الطرفين في مستوى سياسي و إجتماعي موحد، وتقاسموا آمالهم وتزاوجوا في شكواهم وتظلماتهم. وتؤكد البعثة على أن هذه الإجراءات عرفت بالفعل نتائج خلفت تضامنا قويا في صفوف المسلمين كما في صفوف اليهود، وقد وضعت هذه الإجراءات الطرفين (اليهودي والمسلم) في درجة واحدة من الاحتقار⁽¹²⁾.

وكانت إنجلترا تملك أعوانا آخرين كثيرين من اليهود المنتشرين عبر القطر الجزائري، وهم مصممون أكثر من أي وقت مضى على مساندة قضيتهم وحقوقهم كفرنسيين - لعل أول قضية لهم إحتلال أرض فلسطين - وتكمن أمانيتهم المستقبلية في إمكانية إنتصار إنجلترا - وهؤلاء الأعوان يحتلون مواقع مهمة تساعد على القيام بالوساطات لدى المسلمين، ويملكون أيضا وسائل تموين معتبرة، وليس هناك أدنى شك في كونهم جاهزين لإستعمالها عند الضرورة وفي المسائل المحقة بذلك التي تخدم مصالحهم.

وتجزم البعثة في تقريرها أنها لن تلاحظ أدنى إشارة إلى معاداة اليهود في سلوك المسلمين وتصرفاتها معهم. بل بالعكس، فإن صورة التقارب واضحة في عدة نقاط بين نبلاء الطرفين. وقد تركت إنتصارات الإنجليز على الإيطاليين في ليبيا أثرا بليغا في نفوس الجزائريين ومعمري الجزائر، وساهمت تلك الإنتصارات في مضاعفة هيبة إنجلترا وارتفع عدد المؤمنين بالنصر النهائي للقوة الإنجليزية، وذلك ما أضعف هيبة فرنسا في نفوس الجزائريين.

3 -الدعاية الإيطالية والإسبانية في الجزائر:

على الرغم من النفوذ والهيبة الضعيفة لهاتين القوتين في نفوس المسلمين الجزائريين، فإن الدعاية الإيطالية قد انتشرت في عمالة قسنطينة وحصلت على نتائج مهمة لا يمكن الإستهانة بها، كما إنتشرت الدعاية الإسبانية في عماله وهران ونالت نتائج مماثلة. وهذه النتائج لم تؤثر فقط على المقيمين الأصليين الإيطاليين والإسبان، وإنما بلغت أيضا نفوس الجزائريين.

وهكذا فإنه في قسنطينة، هناك إشارات لاتصالات نظمها بعض أعضاء (لجنة الهدنة الإيطالية) مع بعض القادة السياسيين الجزائريين ومنهم ابن جلول أحد قادة اللجنة المذكورة إما في

وهران فيظهر أن نشاط المنظمات الكتابية السرية الإسبانية قد اتجه في نفس الاتجاه.

وافترضت التقارير أنه في حالة إنتصار قاطع للمحور، فإن تلك (المناورات) والدعاية الإيطالية والإسبانية ستنتج عنها كل التأثيرات المحتملة؟!

ثالثا: استئناف نشاط الأحزاب والتجمعات السياسية الجزائرية:

تولي التقارير أهمية كبيرة لأثر المناورات الأوربية (الألمانية، الإنجليزية، الإيطالية والإسبانية) على نشاط الحركة السياسية الجزائرية، ودفعها إلى إستئناف عملها بنفس جديد. وبما لهذه الدعاية من أثر إيجابي على الحركة فإنه من المبالغ فيه أن ننسب إليها كلية روح العمل الإيجابي المجدد للحركة الوطنية الجزائرية، خاصة وأن البعثة نفسها وصفت عمل الحركة السياسية قبل فترة الحرب الثانية ب: (المشاغب)

وقد حددت نشاط الحركة الوطنية السياسية على الشكل التالي:

1 -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ظهر نشاط الجمعية في شكل حملات جديدة من أجل تلبية مطالبها لدى السلطة الفرنسية قبل الحرب، وخصوصا حقهم في نشر الموعظة في المساجد، وحرية التعليم، وقد لاحظت التقارير بأن هاذين المطلبين - إذا ما تحققا - سيمكنا الجمعية بسرعة من

بسط سيادتها على الدين الإسلامي، ويضمنان النصر لأفكار الوحدة الإسلامية والإصلاح الديني والثقافي والإزدهار السياسي الذي يعتبر العلماء زعماء له في الجزائر العاصمة، ومضاعفة الأعمال الإسعافية والمساعدات الدينية والتربوية المنتشرة في عمالة قسنطينة، وأن التبرعات المالية التي جمعت في عمالة وهران - خاصة تلمسان - لصالح رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي كل ذلك يتفق مع نوايا العلماء.

2 - حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري:

أكدت التقارير أن نشاطهما ظهر أثره على مستوى الطبقات الضعيفة من الشعب داخل المدينة وضواحيها وكان انصار هذين الحزبين لا يترددون في إغتنام كل الفرص المتوفرة لهم للمساهمة في خلق (الفوضى)، وضربت مثالا على ذلك إستغلالهم لأحداث الحراش المذكورة والتسترواها للعمل السياسي⁽¹³⁾.

وكان السيد مصالي الحاج، رئيس حزب الشعب الجزائري محبوبا حينئذ بتهمة القيام (بمناورات هدامة)⁽¹⁴⁾ وقد إتهمته التقارير بالدخول في علاقات مع المصالح الألمانية منذ ما قبل الحرب عن طريق زعيم "الوحدة الإسلامية" الأمير شكيب أرسلان. وذكرت أن بعض مناضلي حزب الشعب كانوا على إتصال مستمر مع السلطات الألمانية وأن الكثير منهم مقيم بباريس ويعملون مع

المصالح الألمانية ويتلقون رواتب مهمة. وكان بعض أعضاء حزب الشعب الجزائري ومنهم راجف بلقاسم قد وقع فعلا في اتصال بالقيادة الألمانية ببرلين مع بداية الحرب واقترحوا عليهم تقديم مساعدة للحزب للقيام بالثورة ضد فرنسا، وقبلت المساعدة في شكل تدريبات والمد بالسلاح. ولما طلب من مصالي إيداء رأيه في ذلك سنة 1939، رفض بقوله: " أن الألمان يريدون إستعمالنا فكيف نثق فيهم، وقد وضع هتلر العرب في آخر التصنيف في كتابه (كفاحي)، أننا إذا وافقنا على الثورة فإننا نسوق الشعب إلى المذبحة"⁽¹⁵⁾

وقد تفككت هيئة أركان حزب الشعب الجزائري عند طريق إجراءات ضربتها في الصميم لم يبق من الحزب إلا الأفكار الوطنية ولاحظت التقارير أن تلك الأفكار كانت منتشرة بقوة في وسط الجماهير، وأن إسم مصالي الحاج كان يتردد باستمرار ووصف (بالمرح) وكثير ما شبه بهتلر، هازم الفرنسيين؟

3 -النخبة الجزائرية إتحاد النواب المسلمين:

وصفتها التقارير بالتطور، والانتشار في القطر الجزائري وعلى وجه الخصوص في عمالة قسنطينة وقالت أن مواقفها تميزت بالهجوم أحيانا والغموض أحيانا أخرى.

وخصت السيد فرحات عباس بالإشارة وقالت أنه لم ينقطع عن تعاطي العنف والنقد ضد الإدارة الإستعمارية ثم تلاه ابن جلول الذي كان على علاقة بلجنة الهيئة الإيطالية ومهما كان الثمن فهما يستطيعان في أية لحظة أن يقودا الشعب الجزائري إلى عقد دسياسة ضد فرنسا، لا يمكن لما يظهره من إخلاص للقضية الفرنسية أن يلهينا عن طبيعة تلك الدسياسة"

وقد وضعت تقارير البعثة خلاصة لعملها وصنفت فيها الوضع الحقيقي في الجزائر، وبينت معطيات المشكل الأساسي فيها سياسيا واجتماعيا. والحث على أن هذا المشكل يتطلب حلا سريعا لا يحتمل الانتظار وعبرت عن خطورة المسألة بقولها:

"أننا نرى ان الوضع تتدهور ونخشى مستقبلا أننا سوف لن نتحكم فيه خاصة إذا ما حدثت أحداث جديدة"

وشخصت في الأخير الوضع في الجزائر ووصفته بالخطير، واقتрحت ضرورة الأخذ بالحلول التالية مجتمعة لا متفرقة:

1 - ضرورة تجنب كل ما من شأنه مضاعفة السخط الشعبي ضد فرنسا وتدابير بصفة خاصة الحاجات الغذائية للسكان، وابعاد عنهم وبصفة نهائية، تهديد المجاعة التي ظهرت أماراتها واشتد نذيرها في بعض النواحي الجزائرية.

2 - لا بد على فرنسا أن تجتهد ما دام الوقت مازال ملائما في تمتين روابطها مع الشعب الجزائري وذلك عن طريق القيام باجراءات مناسبة ومقفعة بصفة تمنعهم من الميل إلى الأعمال الأروبية الدعائية المذكورة والتي تقف فرنسا أمامها بدون سلاح. مع العلم أن الدول الأروبية الأربعة المذكورة استماتت في العمل وتوجيه الجزائريين ضد فرنسا والوصول بهم إلى تلبية أغراضها في شمال إفريقيا، وعلى رأسها ((السخط على فرنسا، وزوال هيبتها).

3 - لا بد من العمل على تجنب التعرض للخطر مستقبلا من أجل بناء موقف ملائم في الجزائر، وذلك عملا بالحكمة والترثيث والمرونة في التعامل مع طموحات الجزائريين والتي هي موجهة بوضوح ضد مصالح فرنسا.

وتعتبر هذه المسألة معقدة بشكل كبير ومعالجتها تقتضي قبل كل شيء المعرفة الدقيقة لذهنية وعقلية الجزائريين وطرح تساؤلات تتفاعل مع تلك الذهنية.

وأن إمكانية حل المشكلة الجزائرية تتطلب تقرير (سياسة جزائرية) تراعي فيها جميع المعطيات، وتضع نهاية للتردد والتفكك والتعارض في الواقع مع الماضي، وتحدد مذهباً ومنهجاً يشمل تطور سكان الجزائر المسلمين بعمق والعمل على دمجهم في المجتمع الفرنسي دون المساس بالمصالح العليا لهذا المجتمع.

وعلى الرغم من هذه النصائح المعتدلة، فإن فرنسا لم تول أي اهتمام للوضع في الجزائر، وبل دفعته للانفجار سنة 1945 وقابلته بالقمع والمواجهة، مما أدى إلى وقوع مجازر 8 ماي 1945 التي راح صحتها 45000 شهيد، وهي أحداث اهتز لها المجتمع الدولي بصفة عامة، والمجتمع العربي الإسلامي بصفة خاصة واقتنعت الجزائريين في صفوف الحركة الانتقالية بالعمل والتحضير للعمل المسلح.

- 1 -تقرير قدمه السيد تييري (TERRIER)، قائد فيلق المكتب الثاني لهيئة الأركان الحربية، عن مهمته في الجزائر وتونس، واره في 14 مارس 1941 أنظر:
Archives Diplomatique Quai d'Orsay,Ministère des Affaires Etrangère Série Guerre 1939 -1940; Afrique Vichy, Dossier n° 16.
- 2 - أنظر: Benkkada, Benyoucef, Les origines du 1^{er} novembre 1954, Alger, 1989.
- 3 - أنظر : Archives diplomatique, op, cit,
- 4 - المصدر نفسه
- 5 - عين المارشال بيتان (Pétain) ممثلين جزائريين في المجلس الوطني، وكان النواب الجزائريون حساسين لذلك، فارسل فرحات عباس، زعيم النخبة الاندماجية، رسالة إلى المارشال بتاريخ 10 أفريل 1941 دعاه فيها إلى إعتماذ برنامج اصلاحي يعطي للجزائريين الامل في العيش مع الفرنسيين - أنظر:
- Ch.R. Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine que – sais – je, Paris, PUF, 1980, pp.89.
- France colonaile ou parti colonial, paris, 1978, pp.273
- 6 - تمثلت هذه الحبوب على وجه الخصوص في القمح، الشعير، والمواد الغذائية كالزيت، والقهوة والسكر.
7 - Archives diplomatique, Op. cit
- 8 - أنظر: Ahmed, Mahsas, Le Mouvement révolutionnaire de la 1^{ere} guerre mondial à 1954, Alger, 1990, PP.162
- Ageron, Hiot, Cont, pp89-90
-Benkkeda, pp. 82.
- 9 - المصدر نفسه، ص. 88.
- 10 - يقول فرحات عباس: كانت اذاعة لندن وموسكو وواشنطن تغمر العالم بنداء حرية الانسان ومساواة الشعوب وساهمت هذه الاذاعات في تكوين شعوب افريقيا وآسيا

- تكويننا سياسيا وهذا ما يفسر حماس الجزائريين غداة نزول الامريكيين والانجليز في شمال افريقيا سنة 1942.
- طالع عباس، فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضاله - المحمدية، المغرب (د.ت)، ص 166.
- 11 - انتشرت الكثير من الأغاني الشعبية في بلاد القبائل تمجد هتلر، وتوزعت نشرات في مختلف المناطق الأخرى تنوّه بالقوة الألمانية ونقاوة نواياها.
- 12 - جرد يهود الجزائر من جنسيتهم الفرنسية التي نالوها، بمقتضى قانون كريميو سنة 1870، وألغى ذلك القانون، واعيدوا إلى وضعهم قبل ذلك، وأصبحت منذئذ سمعة فرنسا في حكم العدم، طالع: عباس، ص 165 - 166.
- 13 - كانت هذه الأحداث قد وقعت في الحراش (الجزائر العاصمة) يوم 25 جانفي 1941 على يد فرقة من الرماة الجزائريين ةأسفرت عن عدد من القتلى من الفرنسيين، وتمت محاكمة بعض الجزائريين.
- أنظر : ابو القاسم سعد الله، حركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1945، الجزء الثالث، دار الغرب، الاسلامي، بيروت 1992، ص 181 - 182.
- 14 - رفض السيد مصالي الحاج مساندة فرنسا في الحرب ةهاجم الاستعمار الفرنسي في مقال له في جريدة (الأمة) وحين محاكمته في مارس 1941 قال بان حزب الشعب الجزائري " يرغب في المساواة المطلقة واحترام تقاليدنا، ولغتنا، وديننا، ونحن لا نريد الانفصال عن فرنسا ولكن نريد الحرية..." أنظر: سعد الله، الحركة ...، ج3، المرجع السابق، 175 - 182.
- 15 - عباس المصدر السابق، ص 166.

